ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Assis.Prof.Saad.J.Salih

Diyala University / College of Education for Human Sciences

Email:
drsaad7575@gmail.com
009647705348965

Keywords:

premises, rhetoric, analytical

Article info

Article history:

Received 27.July.2022

Accepted 30.Aug.2022

Published 1.Nove.2022

The Analytical Rhetoric of Al-Amidi and its Impact on the Rhetoric of Abdul Qaher Al-Jurjani

A B S T R A C T

The research paper stems from the hypothesis that Al-Sakaki's rhetorical propositions are not the only representative of Arabic rhetoric. As there are other propositions in the Arab heritage that have been addressed by contemporary studies by reference; but these studies did not highlight it alone. Hence the title of the research "The Analytical Rhetoric of Al-Amidi and its Impact on the Rhetoric of Abdul Qaher Al-Jurjani" to monitor another field of work that is different from the familiar found in Al-Sakaki's perceptions. It goes beyond the scope of the work of school rhetoric to the rhetoric of criticism and analysis in an attempt to reveal some scientific steps for this type of rhetoric based on innovation. The research sample is based on monitoring what was mentioned in the book of Al-Mawazanaha by Al-Amidi (386 AH) from a practical application of some of the premises of "analytical rhetoric", and showing he impact of this on the visions of Abdul Qaher Al-Jarjani (474 AH) and its contribution to the analysis of the poetic text and the development of its analysis mechanisms.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol49.Iss1.3226

منطلقات البلاغة التحليليَّة عند الآمدي وأثرها في بلاغة عبد القاهر الجرجاني

أ.م.د. سعد جمعة صالح الدليمي

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

ينطلق البحث من فرضية مفادها أنَّ طروحات السكاكي البلاغية؛ ليست الممثل الوحيد للبلاغة العربية، إذ إنَّ هنالك طروحات أخرى في التراث العربي قد تناولتها الدراسات المعاصرة على وجه الإشارة والتلميح؛ لكن لم تسلط الضوء عليها بشكل منفرد؛ ومن هنا جاء عنوان البحث" **منطلقات البلاغة التحليلية عند الآمدي وأثرها في بلاغة عبد القاهر الجرجاني**" ليرصد مجال اشتغالٍ آخرٍ مغاير للمألوف الموجود في تصورات السكاكي؛ فهو يتجاوز مساحة اشتغال البلاغة المدرسية إلى بلاغة النقد والتحليل في محاولة للكشف عن بعض الخطوات العلمية لهذا النوع من البلاغة القائمة على الابتكار، تقوم

عينة البحث على رصد ما ورد في كتاب الموازنة للآمدي (386هـ) من تطبيق عملي لبعض منطلقات "البلاغة التحليلية"، وبيان أثر ذلك في رؤى عبد القاهر الجرجاني(474هـ) وإسهامها في تحليل النص الشعري وتطوير آليات تحليله.
الكلمات المفتاحية: المنطلقات ، البلاغة ، التحليلية .

استباقة: الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
أما بعدُ:

فإنَّ الاشتغال في البلاغة العربية، يضع الباحث أمام كمٍ هائلٍ من الآراء والتصورات التي عالج موضوعاتها: على مستوى الشكل والمضمون أو على مستوى العلمية والتأريخية، والبحث لا يزعم الانفلات من طوق هذه الآراء بل يحاول النحت في مساحة اشتغال مغايرة للمألوف السائد من وسم البلاغة العربية بالمعيارية أو المنطقية، التي ذهب الكثير من العلماء في عدها مثلبة في تأريخ البلاغة العربية على الرغم من توسَّع دائرة اشتغالها وحضورها الفعلي في الدرس البلاغي الجامعي العربي؛ وتبني مادتها العلمية على وفق التصورات التي حواها كتاب "مفتاح العلوم للسكاكي المتوفى (626هـ)، في علومها الثلاثة؛ إذ الحاجة إلى تعلّم هذه القواعد على وفق منهجية السكاكي كانت أكبر من محاولات طمثها واتهامها بالجمود والمنطقية.

ومن هنا فإنَّ البحث يُعنى بالكشف عن مسار ثان من مسارات البلاغة العربية، ألا وهو "البلاغة التحليلية"، وقد وجدنا أنَّ الكثير من التصورات الخاصة بمجالات اشتغاله مبثوثة في التراث العربي؛ لكنَّها لم تلملم ولم يكشف النقاب عنها، على الرغم من استعمالها في النقد البلاغي، وقد استند البحث على عدد من المصادر والمراجع شكل كتاب الآمدي"الموازنة"؛ ويمثل كتابا عبد القاهر الجرجاني" أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز" المنطلق الرئيس لمادته؛ وقد توصل البحث لجملة من النتائج منها:

1- إن تقنين القوانين والقواعد البلاغية التي سعى إليها عبد القاهر الجرجاني في التنظير لتحليله البلاغية كانت تحمل طابعا فنيا محضا بعيدا كل البعد عن منطقة البلاغة.
2- نَّ التحليل البلاغي عند الآمدي وعبد القاهر الجرجاني يقوم على مجموعة من الخطوات؛ منها رصد مواطن الجمال الموجودة في النص، ومتابعة أثر القيم الجمالية في إغناء المعنى.

ينقسم البحث على مبحثين: يضع الباحث يده في المبحث الأول على التصورات النظرية عند الآمدي وعبد القاهر استنادا إلى الإجراءات التحليلية ؛ أما المبحث الثاني فيقوم على رصد مظهر التحاور على وفق الأجراء نفسه.

المبحث الأول: البلاغة التحليلية- التصورات النظرية عند الآمدي والجرجاني:

لقد لاحظ البحثُ وعيا كبيرا لدى الدارسين والباحثين المعاصرين في نظرتهم إلى نتاج العالمين: "الآمدي والجرجاني" وأدركوا أنَّهُ مغايرٌ للمألوف في زمانهم من تصورات بلاغية، ووعوا وجود رؤى منهجية تصب في مصلحة استثمار الإمكانات البلاغية وتسخيرها في تحليل القول الشعري وبيان موطن الشعرية فيه، ومنبع هذا الإدراك في النظر للنص نابع من فيض المعرفة النقدية في التعامل مع النص الشعري المبني على الذوق المُربى في تلمس مسلمات الشعر العربي، وينقسم هذا المبحث على فقرتين هما:

أولا:الوعي بمنطلقات البلاغة التحليلية عند الآمدي: إنَّ الدراسات النقدية والبلاغية المعاصرة أشارت في الكثير من القراءات إلى ما تتمتع به رؤية الآمدي من ملامح تحليلٍ للنصوص الشعرية؛ تصب في دائرة "التحليل البلاغي" يقول محمد منذور في أهمية كتاب الموازنة فهو ((نغمة جديدة في تأريخ النقد المنهجي عند العرب))([1]). ولاسيما أنَّ الآمدي بنى مادة كتابه "الموازنة" في ضوء الكشف عن مسارين من مسارات الشعر العربي: **أحدهما:** ما يطلق عليه بـ"معايير عمود الشعر"

وقد مثل هذا الاتجاه البحتري، **والآخر**: هو اتجاه شعر الصنعة المخالف لـ"عمود الشعر العربي" وقد مثَّل هذا الاتجاه أبو تمام؛ إنَّ المتتبع لكتاب الموازنة يتلمس المسارين بسبب من أنَّهُ ((يندرج ضمن النقد التطبيقي، الذي يكثر فيه الاعتماد على الجانب التحليلي الذي يستدعي استحضار مجموعة من النصوص الإبداعية "الشعرية" قصد الاستشهاد بها بالإضافة إلى أنَّه يتعامل م المادة الشعرية تعاملا مباشرا شرحا وتفسيرا وموازنة))([2]).

والبحث يرصد مجموعة من الأسس النظرية التي اعتمدها الآمدي في تنظيراته لمنطلقات البلاغة التحليلية على وفق التصور الآتي:

1- اعتماد الجانب التطبيقي في تحليل النص الشعري: سعى الآمدي في كتاب الموازنة إلى اعتماد الجانب التطبيقي المباشر في الكشف عن مميزات النص الشعري الذي تعامل معه، ولعل مبعث ذلك **آمرين/ أحدهما** عدم نضج المعايير التي كان بصدد استعمالها في قياس أفضلية نص على آخر، **الآخر**: هو بسبب من الحضور الذهني لمعايير قياس الجودة في الأوساط الثقافية والأدبية النقدية والبلاغية، وهذا يفسر لنا المنهجية العالية التي حازها تعامله مع الموضوعات الشعرية والظواهر البلاغية والنقدية من مثل قضية السرقات؛ يقول الدكتور قاسم موفي: ((ما قدمناه من موازنة الآمدي بين معاني الشاعرين في الموضوعات المختلفة يوضح لنا منهجه وهو منهج يقوم في جملته على تتبع معاني الطائيين في شعريهما))[3]

ولقد أكدت الدراسات المعاصر على أن كتاب الموازنة ((يبقى أضخم كتاب عربي في النقد التطبيقي التفصيلي))[4]؛ هذا الأمر يوضح سبب تمسك بحثنا في تمثّل أدوات البلاغة التحليلية في كتب البلاغة التطبيقية ذلك أنها ((تعالج النصوص الشعرية معالجة مباشرة تنصرف إلى شاعر أو أكثر وتركز على معالجات نصية أكثر ما تهدف إلى صياغة مفاهيم كلية، وذلك من خلال مشكلات وقضايا متعددة، مثل الموازنة أو الوساطة أو السرقات، أو قضايا التحليل الموضعي))([5]).

لعل هذا الأمر كان مدعاة للتأليف في البلاغة التطبيقية، وقد عنوان الدكتور: محمد رمضان الجربى كتابه بـ"البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان"، وألف كتاب آخر خاص بتحليل أساليب علم البديع، إلا أنَّه لم يتطرق إلى مفهوم "البلاغة التحليلية" ولم يتناول بدراسته مقومات البلاغة التحليلية أو ملامحها المبثوبة في التراث العربي؛ بل اكتفى في مقدمة الطبعة الثانية إلى الإشارة في السير على النهج الأدبي النقدي لعبد القاهر الجرجاني الذي يعتمد على الذوق، والحس المرهف، والإكثار من النصوص الأدبية المحللة والتطبيقات[6]. فهو يقدم هذا الكتاب للدارسين في مراحل الدراسة الأولية يقول فيه ((وقد حاولت أن أقدم للدارسين دراسة مبسطة وميسرة لأصالة البيان العربي))([7]). كما تجدر الإشارة إلى عدم استعماله لأي من تطبيقات عبد القاهر الجرجاني في تحليل النص الشعري.

2- معايير عمود الشعر عند الآمدي توصف بالفنية لا المنطقية: إنَّ طبيعة تصورات الآمدي في تحليله للنصوص الشعرية تشير إلى إتباعه السبل الفنية غير المنطقية في الكشف عن دلالات النص الشعري وجماليته على الرغم من تبنيه معايير عمود الشعر العربي التي توحي بالمَعَيَّرة والمَنطَقَة ولاسيما أنَّ ((الخصائص الفنية التي نسبها الآمدي إلى الطائيين حدد مذهبيهما...وكان قد بيَّنَ الآراء النظرية التي أوردها ن قصد ليستخدمها كسند له في تطبيقاته))([8]).وقد رصدت الدراسات المعاصر أهمية جهد الآمدي في تتبعه الظواهر الفنية بعيدا عن التقسيم والتقنين ((فقد دل أسلوبه الفني في تقويم الأدب على البعد عن التقسيم والتقنين الذي يفقد القواعد المنهجية إمكان دخولها معايير فنية في النقد، فهو ناقد أصيل لا يعتمد على أحكام غيره وحدها، ولا يجنح إلى التعميم في الحكم، ولذلك فهو يعمد إلى الدراسة التطبيقية التحليلية التي لا تقفز إلى الأحكام قبل أن تقدم مسوغات مقنعة، فهو يبتعد عن التقنين والتقسيم والتفريع، وصنيعه هذا جعله يدرس الصورة معتمدا على الذوق المدرَّب والمعلَّل، وعلى دراسة الفروق التي تكون بين صورة وأخرى))([9]).

إنَّ النظرة المعمقة لتصورات الآمدي وتحليله للنص الشعري تضع الناقد الحاذق أمام نتيجة مفادها أنَّ "معايير عمود الشعر" عنده لم تكن معايير منطقية صارمة بل كانت منطلقات فنية يجمع المشترك بينها الاسم الأعم وتختلف في وجهة الكشف عن خصوصية المعنى في كل نص وجهة المزية فيه، وهذا الأمر تنبه له عبد القاهر الجرجاني ووضع له مفهوم هو أشبه بالقانون يقول فيه: ((ويؤتى بأمثلة إذا حُقّق النَّظرُ كالأشياء يجمعها الاسم الأعمّ، وينفرد كل منها بخاصّةٍ [...] وذلك أنَّ الأمور تلتقي عند الجملة وتتباين لدى التفصيل))([10])، هذا الكشف المبكر لخصوصية النص الشعري، وبيان أن الفن البلاغي المشترك بين النصوص ليس مقياسا مطلقا على غلبة النص الشعري وتفوقه على بقية النصوص الأدبية أو أنَّ النصوص الشعرية التي تحوي الفن البلاغي نفسه تمتاز بدرجة الإدهاش الشعرية نفسها أو تتمتع بالقدرة نفسها على صناعة الهزة في نفس المتلقي.

3-محاولة كشف شعرية النص: تحتل دراسة الآمدي الشعرية في كتابه الموازنة مكانة مهمة في تاريخ البلاغة والنقد في التراث العربي بسبب من عمق النظر التي تتحلى بها تعليقات الآمدي وشروحه للنص الشعري وهي في أغلبها تصاغ على وفق إجابات لسؤال واحد يدور في حلبة النظرية النقدية العربية ألا وهو: (كيف يصبح القول الشعر شعرا؟)، على الرغم من قلة التنظيرات التي تمتع بها جهد الآمدي أو ندرتها، ولاسيما أنَّ "الموازنة" ((كتاب مختلف يشكّلُ نقلة نوعية في التداول النقدي العربي القديم، وهو كتاب لم يكن تأليفه لدوافع دينية أو عقدية أو مذهبية أو لغوية، وإنما استهدف الشعر في ذاته ومن اجل ذاته))([11]). ولعل هذا الأمر يشحذ الأذهان إلى تصور مفاده أنَّ الشعرية التي كان يطلبها الآمدي مبعثها النص الشعري فقط، بسبب من تتبعه للمعايير التي تنزع نحو الشعرية في الشعر فقط، وهو بذلك يكون أسبق من "جان جوكن" في إثبات شعرية النص الشعري إنما هي في الشعر بوصفه جنسا مستقلا.

4-يبتعد بمفهوم الشعر عن العلم والفلسفة: لقد أدرك الآمدي أن جودة الشعر العربي لا تتأتى لكل عالم بالعربية، لكنها ملكة تنهال على خوص الناس، فـ((التجويد في الشعر ليس علتُه العلم، ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم))([12])، تعليقا على فهم الآمدي للشعر بوصفه صنعة يقول الدكتور احمد علي دهمان ((والذي يحمد للآمدي أنه يفرق بين الشعر والفلسفة تفريقا يدل على أن الشعر غير العلم وغير الفلسفة وغير الحكمة، فالشعر عنده إنما هو بمدى تحقيقه للقيم الفنية التي انتهى إليها الشعر كما عرفناه عند العرب، ومن ثم كان الرجوع دائما إلى الصياغة الشعرية العربية هو المقياس الأول في جودة شاعر أو رداءته عند الآمدي، وتحكيم الذوق العربي الخالص هو كذلك العمدة في الحكم على الشر وتقويمه))([13]). وهذا يجعل حُكّام الشعر ونقاده من خواص المتبحرين بالشعر ودلالاته ودروبه لا العالمين بنظمه وتركيبه؛ إذ إن الآمدي ((يلجأ إلى الذوق والإحساس اللذين ينموان بالممارسة التطبيقية التحليلية مع وجود الموهبة، كي يؤدي ذلك إلى القدرة على تعليل الأحكام وعدم السماح بطغيان العنصر الذاتي في الشعر))([14])، إنَّ إيراد الآمدي للشواهد الكثيرة وجمع كلا منها وبحسب الظاهرة الفنية التي ينتمي لها، أو الموضوع الذي يُدرس فيه، يدعم ذلك كله بالشرح والتفسير والتعليل والتحليل؛ يدلل هذا كُلَّهُ على الذوق المربى على الذائقة البلاغية والنقدية العربية.

5- يعتمد المقاربة في التشبيه: فقد عنيَّ الآمدي في كتابه الموازنة عناية بالغة بأساليب علم البيان ومن ذلك الاستعارة التي يشكل مفهومها عنده نقلة نوعية في تاريخ البلاغة العربية اذ يقول (هي استعارة المعنى لما هو ليس له إذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشابهه في بعض أحواله، إذا كان سببا من أسبابه))([15]).

لقد شكلت منطلقات تحليل النصوص الشعرية عند الآمدي نواة حدد في ضوئها مرتكزات عمل الأساليب البلاغية ولاسيما ما يتعلق منها بتصدير المعاني، فإنَّ صحة نقل المعنى عند الآمدي تتأتى من خلال إيجاد نمط من العلاقة الجيدة بين طرفي الصورة الشعرية، فقد راقب الآمدي طريقة ربط المعاني بعضها ببعض ووضع بعض الأسس التي أدركها منها:

1- المشابهة هي السمة البارزة لوجه العلاقة بين طرفي الصورة الشعرية ولاسيما في أسلوبي الاستعارة والتشبيه، وهذا تماما ما اعتمده عبد القاهر الجرجاني في طرحه.

2- اعتمد الآمدي الوضوح سمة في تصوير المعنى وأكد على استعمال العلاقات المستعملة بين طرفي الصورة الشعرية والمتداولة في الشعر العربي، غير ان تصريحه هذا وتأكيده عليه في أكثر من مناسبة وأكثر من مقام قد قوبل بالرضا في استعمال الصورة التعبيرية البعيدة.

ولعل الآمدي يشترط في عملية المشابهة بين طرفي العملية التشبيهية مطابقة ذلك للواقع لى وجه الحقيقة، وكأنه في هذا التصور متأثرا بالفلاسفة العرب، ولاسيما أنهم يشترطون ((أن يكون موضوع الشعر ما هو موجود أو حقيقي، أو ما يقدر وجوده، على أن يكون هذا الذي يقدر وجوده في حدود ما هو محتمل الحدوث))([16]).

لعل أهم مكتسبات المادة العلمية في كتاب الموازنة للآمدي هو ما تضمنه من حركية الإبداع الشعري، وتمثّل جوانبه الفنية ولاسيما أن العينة الشعرية متمثلة بشعر شاعرين كبيرين هما (أبا تمام والبحتري)، إنما شكّلت فضاءً رحبا للتحول في الرؤية النقدية للشعر العربي، وذلك لسببين:

أحدهما: أنَّ شعر البحتري لم يمثل رؤية فردية خاصة به إنما هو رؤية أجيال شعرية متعاقبة من العصر الجاهلي وصولا للقرن الرابع الهجري في زمانه، هذه الرؤية الجمعية قد اتسمت بمجموعة من الصفات الفنية حصرها الآمدي بمعايير عمود الشعر العربي.يقول الآمدي في هذا المقام ((البحتري أعرابيُّ الشعر، مطبوع، وعلى مذهب الأوائل وما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنب التقيد ومُستكره الألفاظ، ووحشي الكلام؛ فهو بأن يُقاس بأشجع السُّلمي ومنصور [النمري] وأبي يعقوب المكفوفل [الخزيمي] وأمثالهم من المطبوعين))([17]).

الآخر: إنَّ شعر أبا تمام لم يمثل رؤية فردية خاصة به في تجديد بنى الشعر العربي، وإنما هو مناجاة للتحول في مظاهر الحياة الثقافية والحضارية تعاقب شعراء سبقوا أبا تمام في تبني هذا المذهب الشعري منهم مسلم ابن الوليد وأبي نواس وغيرهم، يقول الآمدي ((بل سلك[أبو تمام]، في ذلك سبيل مُسلم، بن الوليد واحتذى حذوه، وأفرط وأسرف وزال عن النَّهج المعروف، والسنن المألوف، وعلى أنَّ مسلما أيضا غيرُ مبتدِع لهذا المذهب، ولا هو أولٌ فيه، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها أسم البديع- وهي: الاستعارة والطباق والتجنيس- منثورة متفرقة في أشعار المتقدمين، فقصدها، وأكثر من شعره منها))([18]).

وقد بقيَّ الآمدي ((يحلل المعنى تحليلا فنيا يستند إلى الحجة والدليل وهذا يستدعي ما أمكن من الأمثلة التي استحسنها لشعراء جاؤوا بالصورة الشعرية نفسها))([19]).

ثانيا:الوعي باستثمار البلاغة التحليلية عند الجرجاني: لم يكن عبد القاهر الجرجاني بالبلاغي التقليدي، يشهد العلماء والباحثون والدارسون لنمط المغايرة في التأليف الذي أحدثه نتاجه البلاغي في مسارات التفكير البلاغي والنقدي والتي كانت تصب في مصلحة نظرية النظم.

وقد أدرك عبد القاهر الجرجاني أنَّ وظيفة الشعر قائمة على ((أنَّ الشاعر يقوم باستعادة الصور الحسية المختزنة وربما المعاني المدركة من تلك الصور أيضا، ثم يُعيد تشكيلها من جديد على نحو قد يخالف الواقع أو يشابهه))([20]).

وقد كان اهتمام عبد القاهر الجرجاني بالمزية التي يحويها النص الشعري كبير جدا، وقد كان الكشف عنها موجها باتجاه توضيح الإمكانات التي تتبع من هذه المزية في النص حتى يكون النص مؤثرا بفعلها في المتلقي مما يحقق تفاعلا مع المعنى وإدراكا لدلالاته، واستجابتا لغرضه. وكان هذا الأمر مدعاة لقوله إنَّ ((جنس المزية، أنها من حيز المعاني))([21])،

تبقى ((قراءة الجرجاني في تطبيقاتها وتحليله للنصوص التطبيقية قد كشف عن وعي ريادي فذ قدَّم لكيفية قراءة الأدب الإستثنائي منهجا بيانيا غير تقليدي)) ([22]):.

يوصف عمل عبد القاهر بالمنهج الذي اتبعه في بلاغته التحليلية أنَّهُ ((حرر المفاهيم البلاغية عند القراءة من قيود الحدود والقراءات التقليدية المجتزأة الباحثة عن المعيارية والتعليمية مع ما لهاتين الصفتين من أهمية في تنمية الوعي في ابتداءاته الأولى)) ([23]).

نظر عبد القاهر إلى النص على أنه ((اشتغال إبداعي استثنائي يستدعي منهجا إبداعيا متحررا من مسافات الوعي المسبق ومعطياته المحددة في قراءة النص))([24]). ولعل التعامل مع البلاغة التحليلية عند عبد القاهر الجرجاني تنهض من فكرة الاستناد على القيم الجمالية في الفن البلاغي وما تؤديه هذه القيم من وظائف توصل المعنى إلى المتلقي.

إنَّ بلاغة التحليل عند عبد القاهر الجرجاني تتجاوز التوصيف إلى البيان والبرهان والتعليل يقول في ذلك البلاغة ((ليس للواصف لها إلا أن يلوِّح ويُشير، أو يضرب مثلا ينبئ عن حُسنٍ قد عرفه على الجملة وفضيلة قد أحسَّها، من غير أن يُتبع ذلك بيانا، ويقيمَ عليه برهانا، ويذكُرَ له علةً، ويُورِدَ فيه حُجّة))([25]). على الرغم من رفض عبد القاهر الجرجاني صراحة لمعايرة الشعر العربي إلا أنه قد أفاد كثيرا من مفاتيح التحليل البلاغي التي تضمنتها المعايير وبنى عليها رؤاه البلاغية في تحليل النص الشعري، وأفاد كذلك من الأحكام غير الصائبة عند الآمدي فبنى عليها الضد في تصوره لمواطن الإبداع الشعري منها قضية قرب المستعار له من المستعار منه أو تطويره لقاعدة (أنَّ للاستعارة حدا فإذا تجاوزته فسدت وقبحت).

ثالثا: البلاغة التحليلية :المفهوم والمستنبط: إذا كانت البلاغة المعيارية تمثل مجموعة القوانين والقواعد الخاصة بعلم من علوم البلاغة العربية يتم التمثيل لها بشواهد مستقاة من التراث العربي، فإنَّ البلاغة التحليلية: تستثمر إجراءات الفنون البلاغة وتسخرها لتحليل النص الإبداعي وبيان الإمكانات التي أسهمت في إنتاجه وبيان مزايا الجمال؛ يبدو ابرز معالم المنهج التحليلي هو الخروج من تيه توصيف الظواهر إلى بيان الكيفية التي تعمل بها الظواهر البلاغي ووظيفة كلا منها، فلم يُعدّ الإبداع في النص مجموعة من الطاقات البلاغية المتناثرة بل أصبح كيفيات تحمل رؤى وتحولها إلى شحنات خطابية؛ لا ينحصر غرض المحلل في تفكيك النص الأدبي وبيان عناصره وتوضيح مقابلة العناصر بعضها ببعض، بل يعمل على بيان قيمة كل تعبير من تعابير العمل الأدبي "النص" ويعمل على توضيح الإمكانات التي تتمتع بها، إذ إنَّ اشتغاله يكمن في ملء فراغ مسافة التوتر بين العناصر وإعادة ترتيب الدلالة على وفق استحضاره لعناصر غائبة لم يتم البوح بها.

ومن هنا يمكن القول إنَّ البلاغة التحليلية: هي التي تبحث في الإمكانات البلاغية المتاحة في النص الشعري وتكشف عن السمات الفنية التي تختبئ خلفها وتستثمرها في تحصيل دلالة النص الشعري. ولاسيما أنَّ التحليل ((ينطلق من النظر إلى موضوعاته بوصفها بنى، إذ إنَّ تحليل البنية معناه كشف الغطاء عن العلاقات القائمة بين عناصرها بوصفها منظومة من العلاقات الثابتة في إطار بعض التحولات))([26])، وقد حاول عبد القاهر الجرجاني ومن قبله الآمدي البحث في هذه العلاقات على مستوى البنية التركيبية وعلاقة الألفاظ فيما بينها أو على مستوى تبين العلاقة بين دلالات الألفاظ وما ينتج عنها من صور فنية.

إنَّ البلاغة التحليلية لما تكون بمواجهة تأليف (تشكيل نصي ناضج تركيبيا وفنيا)؛ فإنها تقوم بفحص العلاقات بين أجزاءه وتبحث كيفياتها التي أنتجت هذا التشكيل النصي. وقد تنبه العلماء والباحثون المعاصرون لمنطلقات البلاغة التحليلية وأشاروا لها، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ((أما فيما يخص العلماء العرب قديما: فإنهم تفطنوا إلى

أهمية الدراسة للأثر الأدبي في ذاته أي من حيث هو خطاب له خصائص ومزايا: بنية خاصة وطرق تعبيرية خاصة لتأدية أغراض خاصة، وحاولوا بهذا الصدد أن يربطوا بين هذه الدراسة للخطاب وبين ما ينتجه النحو لصاحب الخطاب من طرق متنوعة للتعبير عن المعنى الواحد. فهذا النوع من الدراسة الشاملة هو إبداع الفكر العربي إذ جعل هذا التلازم: أغراض المبلّغ طرق أدائه لها هو أصل الأصول في تحليل النصوص، وهم أيضا أول من فكّر في حصر الظواهر الصرفية والنحوية (الافردية والتركيبية) بل الصرفية لربط كل ظاهرة بما يمكن أن تؤديه من معنى لا من حيث اللغة لكن من حيث البلاغة))([27]).

تكتسب كلمة "التحليلية" المضافة إلى بنية البلاغة، قيمتها من طبيعة الخطوات المرصودة في هذا الجانب فضلا عن السياقي التأملي لطبيعة الظروف النقدية التي نشأت فيها منطلقات المادة الخاصة بهذا المصطلح أقصد (البلاغة التحليلية) تحاول اليوم عودة مكتسبات المادة العلمية للحضور في الساحة البلاغة وذلك لأهميتها الكبيرة من جانب ضرورة تكملك طلبة العلم في مراحل الدراسة الأولية لها لبناء منظومة فكرية صحيحة تتعامل مع النص وتحلله على وفق رؤية عميقة، وكذا تطمح في إبراز جانب مهم قابل للتطوير.

إنَّ مطلب البلاغة التحليلية: هو البحث في الكيفيات التي جعلت النص الأدبي نصا يثير فضول السامع فيعجب به. ولعل شحنات الخطاب داخل النص الإبداعي أو خارج، بوصفها كينونات موجودة لا يمكن قياس جودة النص وألمعيته من طريق أفرادها فقط، إذ ليس لقيمتها من وجود إلا إذا ارتبطت بعلاقات تركيبة وفنية ودلالية أو فنية دلالية فقط مع بقية أجزاء الكتلة النصية بوصفها مكونات لنص كامل تدخل الشحنات البلاغية ضمن عناصره،

لا تُبحث شحنات الخطاب داخل النص منفردة بقدرها تبحث عن الدور الذي تقوم به هذه الشحنات داخل النص وتبحث العلاقات التي تحقق بين شحنات الخطاب داخل النص الشعري.

إنَّ من أسباب نظرة الكثير من العلماء نظرة معيبة لبلاغة السكاكي أنها تبحث هذه الشحنات منفردة وأعطتها تفصيلات وسلطت الضوء على أنواعها وتقسيماتها وتجاوزت علاقتها مع بقية أجزاء النص وان كانت هي عنصر إشباع النص لكنها ليست العناصر الوحيدة في وجود النص ولا هي العوامل الفردية في إثارة السامع بل هي جزء أساسي من كل تشكيل (تأليف). إنَّ الدرس البلاغي العربي الحديث يقدم للناشئة أدوات البلاغة في قوالب جافة، حتى تحولت إلى ادوات تفسيرية عقيمة، لأن من يتعامل بها لم يدرك وظائفها الجمالية الصحيحة، هذه الأدوات تعمل على تمزيق النص، وبعثرة مكوناته إلى عناصر مبتورة لا تجمعها وحدة شعورية أو موضوعية([28]). ومن هنا تنبثق اهمية البلاغة التحليلة في اعادة الاعتبار لمكانة البلاغة .

التحليل البلاغي ربط مضامين البنيات الصغرى للنص من أجل الحصول على دلالة نصية تربط النص بمجاله اللغوي والثقافي والفني، هذا الربط ليس ضروريا فقط للحصول على فهم صحيح لدلالة النص، بل كذلك فحص الأدوات التي قدمتها البلاغة التحليلية.

إنَّ التحليل البلاغي الذي يسعى البحث للكشف عنه هو((معناه كشف الغطاء عن العلاقات القائمة بين [عناصر النص الأدبي] بوصفها منظومة من العلاقات الثابتة في إطار بعض التحولات))([29])

إذ الصورة الشعرية تظهر جوانب الإبداع فيها في ضوء خلخلة موازين القوى بين طرفي الصورة، وإعادة إنتاج الصلة بينهما من جديد لتنبثق دلالة جديدة تضيف للعالم رؤية جديدة.

المبحث الثاني: البلاغة التحليلية تعاور جهة الاشتغال عند الآمدي والجرجاني: سعى كلا من الآمدي ومن بعده عبد القاهر الجرجاني إلى استنطاق النصوص الشعرية الكثير، فقد كان الجانب التطبيقي في تعاملهم البلاغي؛ على وفق التصوّر الآتي:

أولا: ائتلاف المعني واختلافه.

لقد كان اهتمام الآمدي بالمعاني واضحا جدا، إذ يمكن عدها منطلقات أو ملامح تحليل بلاغي تتعامل مع الكيفيات التي تتشكل في ضوئها الدلالات التعبيرية التي يحتويها النص الشعري، وقد طوَّر عبد القاهر الجرجاني هذه الملامح وأغناها بالتحليل والتفسير؛ من المعاني التي يبحثها الآمدي هي المعاني المتحصلة من ناتج النص الشعري، من ذلك تعليقه على بيت أبي تمام:

ثانيه في كبد السماء ولم يكن لأثنين ثان إذ هما في الغار

بقوله ((معنى هذا البيت...))([30])، يفترض الآمدي تناسبا بين دلالات الألفاظ وما يتحقق من معاني في الواقع؛ فالمعنى الذي يريده من منتج النص ينهض من اللغة لأنها ((أساس شعرية النص، ومن غير الصحيح أن نضع معايير تقويمية من خارج النص لإثبات معناه أو جماله، وإنما يظهر ذلك بقدرة اللغة على خلخلة المفاهيم والخروج عن السياق المعجمي))[31]؛ ومن ثم يضيف على تحليليه ما مفاده ((يكون المعنى حينئذ أن بابك ثاني مازيار [في كبد السماء ولم يكن للاثنين اللذين كانا في الغار ثان]، فأي فائدة في هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش))([32])؛ وهذا ما قاده إلى البحث في فائدة معنى البيت الشعري بقوله ((فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن في البيت فائدة، لأنه كان يكون المعنى...))([33]).

يورد الآمدي تعليقات وتنظيرات تشير إلى علمه بطرائق اتفاق طرفي التشبيه أو اختلافهما في القول الشعري من ذلك قوله على لسان أنصار البحتري: ((والبحتري كان يتعمَّد حذف الغريب والوحشي من شعر ليقربه على فهم من يمدحه إلا أن يأتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة في موضع من غير طلب لها))([34])

والآدمي غالبا ما يرفض شعر أبي تمام بسبب عدم القرب في اتفاق المعاني عنده، ويجعل من ذلك مخلة كبيرة من ذلك رفضه لقول أبي تمام:

من الهيف لو أن الخلاخل صُيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل

يعلق على هذا البيت بقوله:((إن هذا الذي وصف أبو تمام ضد ما نطقت به العرب، وهو من اقبح ما وصف به النساء؛ لأن من شأن الخلاخل والبرين أن تُوصف بأنها تعضُّ في الأعضاء والسواعد، وتضيق في الأسواق، فإذا جعل خلاخلَها وشُحا تجول عليها فقد أخطا الوصف؛ لأنه لا يجوز أن يكون الخلخالُ الذي من شأنه أن يعضَّ بالساق وشاحا جائلا على جسدها))([35])؛ نلمس في تحليل الآمدي هذا أنَّهُ يسعى إلى الكشف عن المعنى الناتج من الصياغة وبيان أثر ذلك التباين بين دلالة النص والمعنى الخام وهذا التغيير نتيجة الصياغة التي أحدثتها ممارسة الصنعة.

وقد استحسن المعاني القريبة المأتى من ذلك تعليقه على قول ذي الرمة:

والقُرطُ في حُرَّةِ الذِّفرَى مُعلَّقُهُ تباعدَ الحبلُ منهُ فهو يَضطرِبُ

يقول الآمدي: ((فهذه المبالغة لائقة مستحسنة؛ لأنه دل على الوصف بالشيء الذي يخَصُ الموصوف، لا بالشيء الذي يخص غيره))([36]).

وعلى الرغم من تمسك الآمدي بشرائط عمود الشعر التي تقضي وجود مشابهة بين طرفي الصورة الشعرية فإنَّ ذلك لم يمنعه من تذوق الصور الشعرية التي تتحصل من جمع معاني بطرق خفية لا تظهر للعيان.

من ذلك استشهاده بأكثر من بيت شعري ترد فيه الصور الشعرية من طرائق بعيدة المأتى، من ذلك تعليقه على قول أمرئ القيس([37]).

فقلت له لمَّا تَمَطى بِصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

يقول الآمدي: ((وقد عاب امرأ القيس بهذا البيت، من لم يعرف موضوعات المعاني والاستعارات ولا المجازات وهو في غاية الحسن والجودة والصحة، لأنه قَصَد وَصفَ أحوال الليل الطويل فذكر امتداد وسطه، وتثاقُلَ صدره للذهاب والانبعاث، وترادف إعجازه وأخره شيئا فشيئا، وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته، وذلك أشد ما يكون من يُراعيه ويترقَّب تصرُّمه، فلما جعل له وسطا يمتد وإعجازا مرادفة للوسط وصدرا متثاقلا في نهوضه حسن أن يستعير للوسط أسم الصُلب، وجعله متمطيا من أجل امتداده، لأن تمطَّى وتمدَّد بمنزلة واحدة، وصلح أن يستعير اسم الكلكل من أجل نهوضه))([38])، في تحليل الآمدي لهذا البيت يتعرف القارئ على السنن الخفية في إدراك مراد الشعر نتيجة توافق الصياغة مع المعنى المراد قوله.

وكذا يورد قول زهير:

صَحا القلبُ عَن سلمى وأقصر باطلُه وَعُرِّى أفراسُ الصِّبا ورَوَحلُه

يعلق الآمدي بقوله ((فجل للصبا أفراسا ورواحل)) يعلق الآمدي بقوله:((لما كان من شأن ذي الصبا أن يوصف أبدا بأن يقال ركب هواه، وجرى في ميدانه، وجمح في عنانه، ونحو هذا حسن أن يستعار للصبا أسم الأفراس، وأن يجعل النزوع عنه أن تعرى أفراسه ورواحله))[39]. لعل الصورة الشعرية التي لملم الآمدي خيوطها ليست من الصور البسيطة التي تدرك من غير الاستعانة بالفكر ورسم ملامح المشتركات بين طرفيها فالجامع بين صحوة القلب وأفراس الصبح غير واضح ما لم تعمل المخيلة في رسم المشابهة بينهما؛ لذلك نرى عبد القاهر في بيت زهر مطورا رؤية الآمدي التحليلية ((لا تستطيع أن تثبت ذواتا أو شبه/ الذوات تتناولها الأفراس والرواحل في البيت على حدِّ تناول الأسد الرجل الموصوف بالشجاعة...وليس إلا أنك أردت أنَّ الصَّبا قد تُرك وأهمل، وفُقد نزاع النفس إليه وبطل، فصار كالأمر يُنصرف عنه فتُعطل آلاته وتُطرح أداته كالجهة من جهات المسير نحو الحج أو الغزو أو التجارة يُقضى منها الوطَرُ فتُحطُ عن الخيل التي كانت تُركب إليها لبُدُها، وتُلقى عن الإبل التي كانت تُحمَّل لها قتودُها))([40])؛ إنَّ المعنى الذي يريدهُ الآمدي من منتج النص ينهض من اللغة لأنها((أساس شعرية النص، ومن غير الصحيح أن نضع معايير تقويمية من خارج النص لأثبات معناه أو جماله؛ وإنما يظهر ذلك بقدرة اللغة على خلخلة المفاهيم والخروج عن السياق المعجمي))[41]

وإيراد الآمدي لهذا الشاعر ومحاورته وتحليل بنيته إنما يؤكد إنَّ التصورات التي يطلقها الآمدي من قرب المأتى بين طرفي الاستعارة إنما هو تصور نظري يناقضه التحليل، وهذا الأمر يكشف لنا عمق عقلية الآمدي في تلمس ملامح الصورة الشعرية أولا ومن ثم يثبت لنا أن مقاييسه التنظيرية لعمود الشعر إنما كان يقصد بها كبح جماح استعارات أبي تمام.

لكن الآمدي يرفض الاستعارات البعيد طرفيها لأنها بحسب قوله تؤدي إلى الخطأ([42]).

وقد تتبع الجرجاني رصد الآمدي لدلالات طرفي العملية التشبيهية في القول الشعري، وطوَّر أدوات رصدها وتحليها تنظيرا وتطبيقا حتى نجده يقول في أمر المعاني: ((واعلم أنَّ غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفضل أجناسها وأنواعها))([43]).

والتحليل البلاغي عند الجرجاني ينطلق من أعماق النص ومن الإمكانات التي يحويها القول الشعري فهو لا يفرض على النص القواعد الجاهزة، لآن النصوص التي تحوي أسلوب بلاغي معين كأن يكون الاستعارة مثلا، هي تشترك من

جانب احتواها على الاستعارة وتختلف أذا حللت تحليلا ينبثق من جوهره نصها إذ يقول: ((ويؤتى بأمثلة إذا حُقّق النظر كالأشياء يجمعها الاسم الأعمّ، وينفرد كل منها بخاصية))([44])؛ فهو وأن يشترط في الاستعارة المشابهة بين طرفيها، لكنه يفرق بين مستوياتها تشكلها، ولاسيما أنَّ ((التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة))[45] فمرة ((وجدته يأتيك عفوا، كقولك في "رأيت أسدا")) ومرة ((لا يؤتيك تلك المؤاتاة)) من ذلك تحليله لبيت زهير السالف الذكر.

نجده يحلل هذا البيت: ((ليس الشبه الذي له استعرت الأفراس موجود في الأفراس، بل هو شبه يحصل لما يضاف إليه الأفراس، حيث يراد الحقيقة نحو قولنا: "عُرّى أفراس الغزو" ، وذلك ما يوجبه الفعل الواقع على الأفراس، نحو أنَّ وقوع الفعل الذي هو "عُرّى" على أفراس الغزو، يوجب الإمساك عن الغزو والترك له))[46]، إنَّ البلاغة التي يرنو إليها عبد القاهر هي البحث في آليات إنتاج النص الأدبي، والكشف عن أدواته التحليلية، لذلك قد سلط الضوء على الطاقات التأثيرية والجمالية لهذه الأدوات وكشف عن الانفعالات التي تحدث نتيجة الإجادة في الصياغة من قبل منتج النص.

وكذلك مما يدل على أنَّ ميزان المعنى عند الآمدي هو الأساس في تفضيل شاعر على آخر ما ينقله من خبر بقوله: ((سُئل البحتريُّ عن نفسه، فقال: كان أغوص على المعاني مني، وأنا أقومُ بعمُود الشعر منه))([47]).

يبقى السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام: ما هي المعاني التي يبحث فيها الآمدي فيجعلها الأساس في تفضيل شاعر على آخر؟

الجواب: حتما ليست المعاني في أنفسها التي يريدها الآمدي بل يريد صورة المعنى التي نقلها الشاعر فأجاد في نقلها أو قصَّرَ في ذلك، وهذا الأمر واضح تماما في تحليلاته وإن لم يصرح به علنا:

فمن ذلك ما يؤرده الآمدي من خبر بقوله ((أبو تمام يريد البديع فيخرُج إلى المحال))([48]).

وما ينقله أيضا الآمدي قوله ((لا يلزم ابن الأعرابي من الظلم والتعصب ما ادعيتم، ولا يلحقه نقصٌ في قصور فهمه معاني [شعر] شاعر عدلٍ في شعره على مذاهب العرب [المألوفة] إلى الاستعارات البعيدة المُخرِجة للكلام إلى الخطأ أو الإحالة))([49]).

لقد أدرك عبد القاهر الجرجاني أهمية اهتمام الآمدي بالمعاني التي أوردها في تأليف الشعر لذلك وسعى جاهدا إلى استثمار الأفكار التي حواها هذا الجهد باتجاه؛ تطوير فكرة قرب المشبه من المشبه به إلى أنَّ ((التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كانت النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب؛ وذلك أن موضعَ الاستحسان...أنك ترى بها الشيئين مِثلَين متباينين، ومؤتلفين مختلفين، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض))[50]؛ ولم يترك الأمور على سجيتها بل ذهب الجرجاني إلى توضيح المبهم وتفسير القاعدة (اقصد ائتلاف المختلفات من المعاني) بقوله: ((واعلم أني لست أقول لك إنك متى ألفت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت، ولكن أقول بعد تقييد وبعد شرط، وهو أن تصيب بين المختلفات في الجنس وفي ظاهر الأمر شبها صحيحا معقولا، وتجد للملاءمة والتأليف السوي بينهما مذهبا وإليهما سبيلا وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشبيهك من حيث العقل والحَدس، في وضوح اختلافهما من حيث العين والحس))([51])، هذا الذي اعتمده عبد القاهر في قوله، " وهو أن تصيب بين المختلفات" إنما هو شرح وتطوير لما ذهب إليه أصحاب عمود الشعر من معيار "الإصابة في المعنى".

ثانيا: التحليل على وفق رسم ملامح الصورة الشعرية: حوت تحليلا الآمدي للنصوص الشعرية ملامح إدراك لطرائق إنجاز الصور الشعرية، البسيطة منها، والمركبة التي بدا للكثير من النقاد أنها يرفضها أو أن عمود الشعر العربي الذي يطمح له الآمدي لا يؤديها من ذلك تفصله لتحليل قول البحتري:

يورد الآمدي في قول البحتري.

يُخفي الزجاجة لَونُها فَكأنَّها في الكف قائمةٌ بغير إناء

يعلّق الآمدي على هذا النص بقوله: ((فإنما قصد وصف هيئة الشراب في الاناء، ولم يقصد وصف الشراب خاصة، ولا الاناء ولو ارد وصف الاناء لكان مصيبا لان الزجاجة أيضا توصف كا يوصف ما فيها وتقع المبالغة في نعتها))[52]. ما نلاحظه في قوله هذا إدراك واضح لأهمية الصياغة في المنجز الشعري، تتجاوز مظاهر البحث في ثنائية اللفظ والمعنى التي بحثها النقاد من قبله أو في زمنه.

ثم يستكمل الآمدي في تعليله هذه رسم ملامح الصورة الشعرية التي يحويها هذا النص من جانب أخذه بأطرافها جميعها واستكمال دلالتها من جانب كونها نص واحد غير متشظي؛ يعالج الآمدي الصورة الشعرية بشيء من العمومية والشمولية متجاوزا التفصيلات الداخلية التي تسهم ببناء علاقات من التكافؤ والتمازج بين إطرافها؛ إذ إنَّ ((دراسة الآمدي للصورة كانت دراسة ناضجة قياسا إلى معاصريه وسابقيه، اعتمد على طريقة العرب والنظر إلى الصورة على أنها تعبّر عما في النفس من المعاني))([53])

وعبد القاهر الجرجاني يخطو خطوات أوسع إذ يتوسع في رسم ملامح الصورة الشعرية من جانب الغوص في ذكر تفصيلاتها والكشف عن العلاقات التي تسهم في تشكلها بناءا على معطيات الكثافة البلاغية وزخم أساليبها.

لم يتعامل عبد القاهر الجرجاني في تحليل الصورة الشعرية من منطلق الحركة التعبيرية الأخيرة التي أفضت لها الصياغة الفنية لمنتج النص، بل يذهب ليدرك أدبية العبارة بوصفها تجاوزا للمألوف "الصياغة التركيبية الحقيقية المعتادة" فهو يحتفظ للتركيب بادبيته وذلك بالعودة إلى ما قبل الصياغة الأدبية الى الصياغة الحقيقية المعتادة في المجتمع والتي لا تحدث أدنى حالات الإغراب أو الغموض ولا تصنع أدنى مستويات الأثر في نفس المتلقي.

ثالثا: الاستدلال على شعرية البيت الشعري: إنَّ جوهر الفعل الشعري عند الآمدي يقع في دائرة تجاوب النص مع المتلقي؛ ذكر الآمدي بعض المفاهيم التي ترقى لأن تكون قواعد رئيسة يستدل في ضوئها القارئ على شعرية النص الشعري من القواعد لعل من أهمها قوله ((وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس هو له إذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سببا من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة لمعناه، نحو قول أمرئ القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

يعلق عليه الآمدي بقوله ((وهو في غاية الحسن والجودة والصحة، لأنه قصد وصف أحوال الليل الطويل فذكر امتداد وسطه، وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث، وترادف أعجازه وأواخره شيئا فشيئا، وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته))[54].

ولعل هذا التحليل الذي يورده الآمدي لهو مؤشر على قدرته في لملمة أطراف الصورة الشعرية وجعلها تتشارك مع المعنى في رسم ملامح الرسالة التي يريد الشاعر إيصالها إلى المتلقي؛ فهو يدرك مما ((لا شك فيه أنَّ هذا كلَّهُ يلفت الانتباه إلى الوسائل التعبيرية في الشعر، ويفضي بنا إلى تصورات عن الصياغة اللغوية للقصيدة، وقدرتها على توصيل المعنى للمتلقي؛ من خلال تركيب نغمي ذي دلالات مجازية))([55])؛ نجد عبد القاهر الجرجاني في تعامله مع الاستعارة يقيم حوارا بين طرفيها ويبحث عن أدنى مراحل التماس الدلالة بين طرفي الصورة، فهو يحاور النص ويحاول نقل بعض دلالات الطرف الثاني للصورة وجعله ملائما للأول وهذا الالتقاء قد مهد للاستغناء عن طرف من أطراف العملية التشبيهية وإيداع دلالته للطرف الآخر الذي أصبح هو الحامل للدلالة.

رابعا: مراعاة مبدأ الاختيار: ينتبه الآمدي إلى أهمية مراعاة اختيار التعابير المناسبة في انجازه وذلك من خلال رفضه لبعض الأمثلة ومحاولة تصويب اختيار التعابير في النص الشعري لأنها لا تناسب دلالة المعنى الذي يريد الشاعر قوله:

إنَّ مبدأ الاختيار واحد من أهم المبادئ التي أكد عليها عبد القاهر الجرجاني وتعامل مع بعض الأمثلة نفسها التي حللها الآمدي. يُورد قول أبي تمام:

يا دهرُ قوِّم من أخدعيك فَقَد أضججتَ هذا الأنامَ مِن خُرُقِك

يُعدُّ هذا القول بحسب رأي الآمدي من مرذول ألألفاظ وقبيح الاستعارات عند أبي تمام([56]).

ثم يفصل أسباب رفضه لهذا البيت الشعري بقوله: فجعل كما ترى مع غثاثة هذه الألفاظ– للدهر أخدَعا، ويدا تقطع من الزند، وكأنه يَصرع. وجعله يشرق بالكرم. ويفكر ويبتسم، وإن الأيام بنون له والزمان أبلق، وجعل للمدح يدا، ولقصائده مزامير إلا أنها لا تنفخ ولا تزمر، وجعل المعروف مُسلما تارةً ومرتدا أخرى، والحادث وغدا، وجَذَب ندى الممدوح بزعمه جذبةً حتى خر صريعا بين يدي قصائده، وجعل المجد ما يجوز عليه العرف...وهذه استعارة في غاية القباحة والهجانة والبعد عن الصواب))([57])؛ ثم يكرر لفظه هذه الاستعارة في موضع آخر بقوله: ((فأيُّ ضرورة دعته إلى الاخدعين؟ وقد كان يمكنه أن يقول قوّم من اعوجاجك" أو قوّم من معوج صنعك" أو يا دهر أحسِن بنا الصنيع؛ لأن الأخرق هو الذي لا يُحسِن العملَ، وضده الصَّنَعُ))([58]).

نلاحظ كيف حاول الآمدي أن يمارس في تحليله البلاغي نوع من التجريب المبنى على تحسين اختيار الألفاظ ومحاول اقترح الأصلح لتأدية التعبير ذلك بسبب من فرضيته المبنية على وجوب ايجاد نوع من المشابهة بين المستعار والمستعار منه، ويقول في موضع آخر ((ولأنَّ الدهر قد يكون سهلا وحزنا ولينا وخشنا على قدر تَصَرُّف الأحوال فيه، فإنَّ هذه الألفاظ كانت أولى بالاستعمال في هذا الموضع. وكانت تنوب له عن المعنى الذي قَصَدَه ويتخلَّص من قبح الاخادع))([59])؛ إنَّ جوهر الفعل التعبيري للشعر عند الآمدي يقع في دائرة تجاوب النص مع المتلقي.

لقد لاحظ عبد القاهر الجرجاني ما حواه تحليل الآمدي من رؤية مبنية على فرضية اختيار أن المشابهة بين طرفي الاستعارة أمرٌ واجب للحصول على استعارة مقبول غير مرذولة ولا مقبوحة وأن هذا الأمر إنما يبنى على مدى توفيق الشاعر في اختيار ألفاظه وتعابيره ومناسبة بعضها للبعض الآخر. من ذلكم رفضه لاستعارة أبي تمام الأخدع في قول أبي تمام السالف الذكر الذي حلله الآمدي فيقول: ((فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير، أضعاف ما تجد في موضع آخر من الروح والخفة، ومن الإيناس والبهجة))([60]). لكن عبد القاهر الجرجاني لم يكتفي أن عرض بيت أبي تمام أو غيره من بقية الاقول الشعرية ذات الاستعارات غير المناسبة بل استثمر ذلك ليجعل منه قانون وقاعدة يكشف في ضوءها كيف أنَّ الاختيار يشكل المبدأ الأول في عملية التأليف الأدبية وإن الشاعر إذا أجاد اختيار الألفاظ لما يناسبها فقد ظفر بالمعنى الذي يروم وبالتأثير الذي يطمح له في نفس السامع. كلُّ ذلك مدعما بالأمثلة والتفصيلات؛ يقول عبد القاهر الجرجاني: ((ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي أصلح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخصُّ به، وأكشف عنه وأتمَّ له، وأحرى بأن يكسبه نُبلا، ويظهر فيه مزية))([61])؛ وقد كان من بواعث اهتمامه بعامل الاختيار أن ظهر عنه مفهوم التناسق: ((والفائدة في معرفة هذا الفرق: أنك إذا عرفتهُ عرفت أن ليس الغرضُ بنظم الكلمِ، أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل، وكيف يُتصوَّر ... أنَّ لا حال للفظة مع صاحبتها تُعتبر إذا أنت عزلت دِلالتها جانبا؟ وأي مَسَاغٍ للشك في أنَّ الألفاظ لا تستحقُّ من حيث هي ألفاظ، أن تُنظَم على وجهٍ دون وجه؟))([62])؛ وقد طوَّرَ من رؤية البلاغي المحلل لمبدأ الاختيار ذلك في ضوء حالة من تجريب صياغات غير التي قال بها الشاعر وملاحظة مدى أهمية عامل الاختيار والمناسبة بين الألفاظ والصياغة في رسم ملامح الصورة الشعرية. إنَّ أهم ما يميز تحليلات الآمدي ومن بعده عبد القاهر الجرجاني أنهما ركزا على اعتبار أنَّ ((كل نص هو بشكل ما "بلاغة"، أي يمتلك وظيفة تأثيرية، وبهذا الاعتبار فالبلاغة تمثل منهجا للفهم النصي مرجعه التأثير، وعندما نفكر حسب المفاهيم البلاغية فإننا ننظُر، مبدئيا إلى النص من زاوية نظر المستمع/ القارئ ونجعله تابعا لمقصدية الأثر))([63]).

الخاتمة ونتائج البحث:

1- لقد أسهم رصد الآمدي لبعض المظاهر الفنية المبثوثة في النص الشعري، في تطوير رؤية عبد القاهر الجرجاني في رصد مظاهر الإبداع والجمال الموجودة في النص الشعري.

2- أكدت الدراسات المعاصرة للتراث البلاغي وجود خطوات منهج التحليل البلاغي للمنجز الشعري، وهذا الأمر إنما يُثبت للآمدي بعض ولعبد القاهر الجرجاني.

3- لقد كانت الشعرية (poetics) العنصر المعوّل عليه في التعامل مع الفن الأدبي عند عبد القاهر، وهذا الآمر كان مطلب الآمدي في رصده لمظاهر الفن والإبداع الشعري.

4- تقنين القوانين والقواعد البلاغية التي سعى إليها عبد القاهر الجرجاني في التنظير لتحليله البلاغية كانت تحمل طابعا فنيا محضا بعيدا كل البعد عن منطقة البلاغة.

5- إنَّ التحليل البلاغي عند الآمدي وعبد القاهر الجرجاني يقوم على مجموعة من الخطوات؛ منها رصد مواطن الجمال الموجودة في النص، ومتابعة أثر القيم الجمالية في إغناء المعنى.

6- إنَّ مما يؤكد متابعة عبد القاهر الجرجاني لجهد الآمدي في الإفادة من التحليل البلاغي وتطوير رؤاه؛ هو استعماله لأغلب الشواهد الشعرية التي جاءت في كتاب "الموازنة"، ومن ثَمَّ الاعتماد على الأفكار التي جاءت في ثنايا شروحه فضلا عن انتمائهما للمدرسة الأدبية نفسها.

7- يتعامل كلا من الآمدي وعبد القاهر مع النص الإبداعي فقط ويتجاوزا النصوص الضعيفة أو التي لا تحوي على شحنات خطاب مؤشرة في النص.

8- إنَّ مقولات الآمدي التي تُحيل على الوضوح؛ تُمثل صيحة بوجه الإسفاف في التعامل خارج حدود المناسبة بين المستعار والمستعار منه.

التوصية

إنَّ تحليلات الآمدي ومن بعده عبد القاهر تشكّلُ تحولا جذريا في النظر إلى النص الشعري وقد جاءت محاولاتهم في تحديد مهمة البلاغة من جانب الإسهام في إنتاج النص الشعري من جهة وتحليليه من جهة أخرى، في ضوء هذا الفهم يجب الاستناد إلى البلاغة التحليلية إلى جنب البلاغة المعيارية في التدريس الجامعي للدراسة الأولية، وتعميقها في الدراسات العليا.

المصادر والمراجع:

- بليث، هنريش بليث، ترجمة وتعليق. د. محمد العمري/ البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص.افريقيا الشرق/المغرب،1999م،

– جبارة، محمد جاسم جبارة؛ المعنى والدلالة، 2008، دار ميسم الخرطوم.

– الجرجاني، عبد القاهر عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الموسسة السعودية بمصر،1992م،ط3.

– الجرجاني، عبد القاهر عبد الرحمن، أسرار البلاغة، قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الموسسة السعودية بمصر،1991م،ط.1

– سلوم: د.داود مقالات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. ، من مشورات وزارة الثقافة والإعلام . الجمهورية العراقية . سلسلة دراسات ٢٧٧ ،١٩٨١م.

– عصفور، جابر ، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، دار الفكر، ط5،1995م.

– الجربي، محمد رمضان: البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان، منشورات (ELGA)، مالطا، 2000م

– دهمان: احمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، منشورات وزارة الثقافة–سوريا– دمشق،2000م.

– الآمدي أبو القاسم الحسن أبن بشر الآمدي (370هـ)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط5، 2006م

– الراوبي: الفت كمال الروابي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.

– غركان: د, رمن غركان، أسلوبية الإجراء البلاغي في قراءة النص الشعري، دار تموز، دمشق 2019م،ط1.

– صالح : د. عبد الرحمن حاج :بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: موفم للنشر– الجزائر 2012م: لا ط:

– مندور: د.محمد النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.

موفي، قاسم، الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة، مشروع النشر المشترك ، دار الشؤون الثقافية،– فاق عربية–بغداد.

<u>البحوث والمنشورات</u>

- رسالة ماجستير: أبو حمدة: محمد أحمد ((أبو القاسم الآمدي وكتابه "الموازنة بين الطائيين"))، دائر اللغة العربية، الجامعة الأمريكية بيروت، أيلول 1968م
- رسالة ماجستير: بو ديار، عادل بوديار:المعايير النقدية في كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، للآمدي.
- رسالة ماجساير:بودجر، سميرة، الشواهد الشعرية في كتاب "الموازنة" للآمدي مقاربة نقدية، كلية الاداب، جامعة مولود معمري،2011م.
- (بحث) مجلة علمية بيومي، د. مصطفى بيومي عبد السلام، (بحث)، المقدمات التنظيرية في كتاب الموازنة للآمدي، مجلة الدراسات العربية، مج/34، العدد،3، يولو 2016م:

الهوامش:

(1) مندور: د.محمد النقد المنهجي عند العرب:: 94.

(2)بودجر، سميرة، الشواهد الشعرية في كتاب "الموازنة" للآمدي:93

(3) موفي، قاسم، الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تحليل ودراسة،:109.

(4) سلوم: د.داود مقالات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، 252.

(5) عصفور، جابر ، مفهوم الشعر:102.

(6) الجربي، محمد رمضان: البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان، منشورات (ELGA)، مالطا، 2000م: 11.

(7) الجربي، محمد رمضان: البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان، منشورات (ELGA)، مالطا، 2000م:8.

(8) بو ديار، عادل بوديار :المايير النقدية في كتاب الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري، للآمدي:46.

(9) دهمان: احمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني:338

(10) الجرجاني، أسرار البلاغة:28.

(11) بيومي، د. مصطفى بيومي عبد السلام، (بحث)، المقدمات التنظيرية في كتاب الموازنة للآمدي،: 1496.

(12) الموازنة: 1/ 25.

13) دهمان: احمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني:338

(14)دهمان: احمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني:339.

(15) أبو حمدة: محمد أحمد رسالة ماجستير بعنوان ((أبو القاسم الآمدي وكتابه "الموازنة بين الطائيين:107.

(16) الراوبي: الفت كمال الروابي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين:101.

(17): الآمدي: الموازنة :4/1.

(18): الموازنة:14/1.

(19):بوديار:عادل (بحث) ماجستير: المعايير النقدية في كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي: هـ

20) الروابي، د. رأفت :نظرية الفلاسفة المسلمين: 68.

(21) الجرجاني، عبد القاهر :دلائل الإعجاز:64.

(22) غركان: د, رحمن غركان، أسلوبية الإجراء البلاغي في قراءة النص الشعري:20.

(23) غركان: د, رحمن غركان، أسلوبية الإجراء البلاغي في قراءة النص الشعري:66

24) غركان: د, رحمن غركان، أسلوبية الإجراء البلاغي في قراءة النص الشعري:70.

(25) الجرجاني، عبد القاهر ،دلائل الاعجاز :65

(26) الجابري: د. محمد عابد.التراث والحداثة:دراسات...ومناقشات:47.

27)صالح : د. عبد الرحمن حاج :بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: 338/1)

(28) مطلب : د. محمد البلاغة العربية:قراءة أخرى::1.

(29) الجابري: د. محمد عابد : التراث والحداثة دراسات .. ومناقشات:47

(30) الآمدي: الموازنة:30

(31) جبارة، محمد جاسم جبارة، المعنى والدلالة: 50.

(32) الآمدي:الموازنة:31/1.

(33) الآمدي: الموازنة:30-31.

(34) الآمدي: الموازنة:26.

(35) الآمدي: الموازنة:147.

(36) الامدي: الموازنة156/1.

(37) ديوان امرؤ القيس: 23.

(38) ينظر: الآمدي: الموازنة:266.

(39) الامدي: الموازنة:267.
(40)الجرجاني أسرار البلاغة:47-48
(41) جبارة، محمد جاسم جبارة؛ المعنى والدلالة:50
(42): ينظر: الآمدي الموازنة:12-24.
(43)الجرجاني: أسرار البلاغة:26.
(44)الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة: 28.
(45) الجرجاني: عبد القاهر، أسرار البلاغة: 47.
46) الجرجاني: أسرار البلاغة: 51.
(47): الآمدي: الموازنة: 12/1.
(48)الآمدي: الموازنة: 20/1.
(49) الآمدي:الموازنة: 23/1.
(50) الجرجاني عبد القاهر أسرار البلاغة: 130.
(51) الجرجاني عبد القاهر أسرار البلاغة:151.
(52) الموزنة: 33/1.
(53) دهمان: احمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: 342.
(54) الآمدي: الموازنة:266/1.
(55) عصفور: جابر مفهوم الشعر: 59.
(56)الآمدي: الموازنة:261/1.
(57) الآمدي:الموازنة:265/1.
(58) الآمدي:الموازنة: 271.1.
(59)الآمدي: الموازنة :269/1-270.
(60) الجرجاني: دلائل الإعجاز:47.
(61) الجرجاني:دلائل الإعجاز: 43.
(62) الجرجاني: دلائل الإعجاز: 50.
(63) بليث، هنريش بليث، ترجمة وتعليق. د. محمد العمري/ البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص:24.